حركة التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

المصطلح، الدلالة، الآفاق

الأستاذ الدكتور
علاء الدين محمد تقي الحكيم

كلية الإمام الكاظم a للعلوم الإسلامية الجامعة
dr.alaaalhakeem@gmail.com

The movement of change in the Holy Quran and the Noble Prophetic Sunnah - terminology, significance, prospects

Professor Dr.
Alaa Al-deen Mohammed Taqi AL-Hakim
Imam Al-Kadhim (peace be upon him) College of Islamic Sciences University

الملخص:-

ضم القرآن بين دفتيه كثيرا من الآيات التي تحدثت عن السنن الالهية التي اجراها الله على عباده ومن بين تلك السنن سنة التغيير، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وتولى الرسل لإحداث عملية التغيير الشاملة في المجتمعات متناولة مناحي حياة الانسان المختلفة.

ان مفهوم مصطلح التغيير الذي دخل في ادبياتنا المسموعة والمقروءة بشكل واسع دون امعان النظر في مداليله مما اصاب افكارنا بأضرار كبيرة، تعدت حدود الحوار الهادئ.

حاول البحث رصد هذا المصطلح من خلال مصادره الاساسية قرانا وسنة نبوية وسنة اهل البيت(عليهم السلام) وموضحا دلالته وافاقه التي يتحرك بها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، حركة التغيير، المصطلح، الدلالة، الآفاق.

Abstract:-

The Quran includes between its covers many verses that talk about the divine laws that God has implemented for his servants, and among those laws is the law of change, that God does not change the condition of a people until they change what is in themselves, and the messengers took charge of bringing about the process of comprehensive change in societies, covering different aspects of human life.

The concept of the term change that has entered our widely heard and read literature without looking closely at its implications has caused great harm to our thoughts, exceeding the limits of calm dialogue.

The research attempted to monitor this term through its primary sources, our Quran, the Prophetic Sunnah, and the Sunnah of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), explaining its significance and the horizons in which it moves.

Key words: The Holy Qur'an, the Noble Prophetic Sunnah, the movement of change, terminology, meaning, horizons.

المقدمة:ـ

لقد اكد القرآن الكريم على دور الفرد والمجتمع ومساهمته في التغيير الايجابي للمجتمعات ولأجل هذه الخصيصة بعث الله الانبياء والرسل مبشرين ومنذرين وكلفهم بهذه المهمة الصعبة سالكين سبل مخاطبة فطرة الناس ومجاهدين في ايقاظ غفلة المجتمع بالاقتداء بالتقليد في العبادات وذلك عن طريق تغيير قيم الافراد ودوافهم المعنوية والروحية معتمدين على تغيير ما في الانفس بالإيمان وتزكية النفس والاستقامة والعمل الصالح مستفيدين من البواعث الفطرية للتغيير التي اودعها الله في انفسهم وتكفل بها لعباده بعد ان كفلوها لأنفسهم.

يعد مصطلح التغيير من المصطلحات الفكرية والمحورية المؤسسة للمعرفة والسلوك من اجل تغيير الواقع المعاش الذي يعد حاجة فطرية مرتبطة بطموح الانسان وتطلعاته المستقبلية فقد اسس القرآن الكريم قانونا اجتماعيا للتغيير قوامه غرس قيم التغيير على مستوى القاعدة الاجتماعية ليصبح سلوكا تلقائيا هذا القانون لا ينفك يعطي ثماره على الدوام سواء كان تغييرا ايجابيا ام تغييرا سلبيا.

اشتمل الموضوع على مبحثين واربعة مطالب، حمل المبحث الاول عنوانا التغيير المصطلح، والمصادر، سلطنا الاضواء فيه على مفهوم المصطلح ومصادره من القرآن والسنة النبوية الشريفة وسنة اهل البيت عليهم السلام.

وتكفل المبحث الثاني الموسوم دلالة التغيير وآفاقه ببيان الدلالة القرآنية لهذا المصطلح والافاق الرحبة التي يحلق فيها، واخيرا الخاتمة التي ضمت اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الاول

التغيير، المصطلح والمصادر

المطلب الأول: التغيير، لغة واصطلاحاً

١- في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: ((التغيير يقال على وجهين احدهما لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال غير داره إذا بناها غير الذي كان، والثاني لتبديله بغيره يقال

غيرت غلامي))[١].

وفي لسان العرب ((وغير الدهر أحواله المتغيرة وورد في حديث الاستسقاء من كفر بالله يلقى الغير أي تغير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد))[٢].

وفي المعجم الوسيط ((غير فلان عن بعيره حط عنه رحله وأصلح شانه والشيء بدل به غيره وجعله غير ما كان عليه))[٣].

ويمكن إجمال الأقوال في معنى التغيير: بتغيير صورة الشيء دون ذاته، وتبديله بغيره أي تحويله وجعله غير ما كان، والتخفيف وإصلاح شان الشيء.

٢- اصطلاحا: إحداث شيء لم يكن قبله[٤]، أو تغيير دين الله بتبديل الحرام حلالا وبالعكس أو بإبطال الاستعداد[٥]، أو تبديل الشيء بما يضاده[٦]، أو تغيير الشيء على خلاف ما كان.

وعندما يكون التغيير اجتماعيا فيعرف: ((هو عملية انتقال المجتمع بإرادته من حالة اجتماعية محدودة الى حالة اخرى اكثر تطورا))[٧]، ويعرف ايضا بانه: ((إحداث شيء في المجتمع لم يكن موجودا من قبل))[٨]، أو ((بذل الجهد البشري عبر عملية طويلة ومتدرجة يتم خلالها صياغة مجتمع متكامل كيان امة يبدأ بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع))[٩]، وعرف أيضا ((تحولات ظاهرية وجوهرية في البناء الاجتماعي – الثقافي تحدث بين مرحلتين على مدى زمني محدد في شكل سلسلة متصلة من العمليات المستمرة، وتلاحظ هذه التحولات بصورة جزئية في عدد المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية والقانونية، وتتأثر هذه التحولات بعدد من العوامل الداخلية والخارجية المتفاعلة وتتخذ شكلا تطوريا أو تنمويا أو ثوريا وقد تكون ايجابية أو سلبية))[١٠].

ويؤاخذ على بعض هذه التعريفات إغفالها لبعض العناصر التي لا يتم التغيير إلا بها وهي الأشخاص والأشياء والأفكار، فالتغيير يقوم على متابعة تحليلية لحركة هذه العناصر في إطار الحياة الاجتماعية للإنسان ولا يخفى ارتباط هذه العناصر ببعضها ارتباطا وثيقا وان شكلت الأفكار في عملية التغيير الاجتماعي العنصر ذا الأهمية البالغة فأي عمل فردي أو اجتماعي لا يمكنه من التحرك دون توجيه منها.

والتعريف الأخير على الرغم من طوله وسرديته في بعض الأحيان اسلم التعاريف لاحتوائه على عناصر التغيير الأساسية في المجتمع، ويؤاخذ عليه تقديم التحولات الثقافية والبيئية على التحولات الاقتصادية والسياسية، والأولى أن يكون تسلسلها كالآتي: اجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، وقانونيا، وسياسيا، وكذلك يؤاخذ عليه إغفاله أن يكون التغيير وفق المنظور القرآني للتغيير ومستندا إلى ضوابط الشرع الحنيف.

المطلب الثاني: مصادر التغيير.

الاول: التغيير في القرآن الكريم.

ورد مفهوم التغيير في القرآن الكريم في أربعة مواضع بالاشتقاقات الآتية:

١. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١١].

٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١٢].

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[١٣]، والمراد عند اكثر المفسرين عدم تغيير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام فتغيير ما بأنفسهم القوم تغيير ما بها من الاعمال والأحوال والأخلاق وفق النعمة وكفرانها بترك أوامر الله ونواهيه.

قال سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن: ((الآية القرآنية من جانب تقرر عدل الله في معاملة العباد فلا يسلبهم نعمة وهبهم اياها الا بعد ان يغيروا نواياهم ويبدلوا سلوكهم ويقلبوا اوضاعهم ويستحقوا ان يغيروا ما بهم مما اعطاهم اياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي يقدرها ولم يشكرها ومن جانب اخر يكرم هذا المخلوق الانسان اكبر تكريم حين يجعل قدرة الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الانسان وعمله ويجعل التغيير القدري في حياة الانسان مبنيا على التغيير الواقعي في قلوبهم وسلوكهم وعملهم واوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم))، وقال ايضاً: ((لا يغير نعمة أو بؤسا ولا يغير عزا بغير عز او ذلة ولا يغير مكانة بمهنة الا ان يغير الناس ما بأنفسهم وبعد تغيير المبدأ يبرز السباق حالة تغيير الله ما بقوم الى السوء لأنه في معرض الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة))[١٤].

وقوله ان الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وظاهر النعمة انه يراد بها ما يكون فيه العباد من سعة الحال والشفافية وتغيير هذه الأحوال بإزالة الذات وقد يكون بإزالة

الصفات فقد تكون النعمة اذهبت رأسا وقد تكون قللت وأضافت وذهب الفخر الرازي الى القول ان الله عز وجل أنعم عليهم بالعقل وإزالة الموانع وتسهيل السبل فإذا صرفوا هذه الأحوال الى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله على أنفسهم [١٥].

٣. ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾[١٦]، قال ابن عاشور: ((إطلاق الأنهار على انهار الماء فهو حقيقة اما إطلاق الأنهار على ما هو من لبن وخمر وعسل فذلك مماثلة للأنهار فيجوز ان تكون المماثلة تامة في انهار كالأنهار في اخاديد من أرض الجنة فأن أحوال الآخرة خارقة للعادة.. وقد ذكر هنا أربعة اشرب هي أجناس اشربتهم فكانت يستجيدون الماء الصافي لأن غالب مياههم من الغدران والأحوال في البادية تمتلا من ماء المطر او من مرور السيول فإذا استقرت أياما اخذت تتغير بالطحلب ويدخل فيها من الأيدي والدلاء وشرب الوحوش وكذلك اللبن كانوا اذا حلبوا وشربوا أبدوا ما استفضلوه الى وقت آخر لأنهم لا يحلبون الا حلبة واحدة او حلبتين في اليوم فيكون فيه التغيير))[١٧].

٤. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[١٨]، جاءت هذه الآية في معرض حديثه تعالى عن غواية ابليس لعباده ودعاءه اياهم الى طاعته وتزيين لهم الظلال والكفر حتى يزيلهم عن طريق الحق وقد اختلف المفسرون في تفسير خلق الله على اقوال منها تغيير دين الله، وتغيير دين الله له ثلاثة وجوه، الوجه الاول: ان الله تعالى فطر الخلق على الاسلام يوم خروجه من ظهر ادم عليه السلام واشهدهم على انفسهم، فمن كفر فقد غير فطرة الله، الوجه الثاني: المراد بها تبديل الحلال حراما والحرام حلالا، الوجه الثالث: تغيير الصفات الحسية للخلق[١٩].

الثاني: التغيير في السنة النبوية الشريفة وسنة أهل البيت عليهم السلام.

وردت مصادر متعددة لهذا المصطلح في السنة النبوية الشريفة وسنة اهل البيت عليهم السلام، تحمل مداليل مختلفة ويمكن اجمالها بـ:

١. التغيير بترك الميثاق والولاية.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن الله اخذ ميثاق أهل البيت من أعلى عليين واخذ طينة شيعتنا منا ولو جهد أهل السماء وأهل الأرض أن يغيروا من ذلك شيئا ما استطاعوه[٢٠].

٢. التغيير بترك السنة.

في الحديث القدسي « يا عيسى ما آمنت بي خليقة إلا خشعت لي ، ولا خشعت لي إلا رجت ثوابي ، فاشهد إنها آمنة من عقابي ما لم تبدل أو تغير سنني »[٢١] ، وعنهم عليهم السلام « لا تتركوا أمر الله وأمر من أمركم بطاعته فيغير الله عليكم من نعمه »[٢٢].

٣. التغيير بترك التغيير حتى باستعمال القوة.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم بعذاب من قبل أن يموتوا [٢٣]»، وعن جرير بن عبد الله انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب »[٢٤] ، وعن الرضا عليه السلام: « لم يتغير عز وجل بخلقه الخلق ولكن الخلق يتغير بتغيره »[٢٥] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...»[٢٦].

وعن الحسين بن علي عليه السلام: « من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرمة الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل كان حقيقا على الله أن يدخله مدخله..»[٢٧] ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « إذا تغير السلطان ، تغير الزمان »[٢٨].

٤. التغيير بتبدل النعمة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: « وأمان من الغير، أي من تبدل النعمة بالنقمة »[٢٩].

٥. التغيير بتغير الخلق.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «... وأمرتهم أن يشركوا بي... وأمرتهم أن يغيروا خلقي »، وعن الإمام الباقر عليه السلام: « اللهم إني أعوذ بك من أن تبدل اسمي أو تغير جسمي[٣٠]».

٦. التغيير بتغيير الأوصاف[٣١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: « فإذا تغير الماء فلا تشربه »[٣٢].

المبحث الثاني

الدلالة والافاق

المطلب الأول: دلالات التغيير.

يستعرض القران الكريم بين دفتيه عدم استجابة المجتمعات لدعوات الانبياء والمرسلين في التغيير على مر العصور ويشخص مجموعة ظواهر تتحكم في هذه الظاهرة باختلاف هذه المجتمعات ونوعها ودرجتها في كل زمان يحدث فيه هذا التغيير ويخرج بنتيجة عامة في اسباب عدم الاستجابة لهذا التغيير والتصدي له عبر وسائل اهمها التشكيك في بشرية من يبلغ رسالة السماء الى الارض بحجة ان الذي يرتبط بالسماء ينبغي ان يكون اسمى من البشر وتساويه معهم لا يعطيه ميزة مضافة ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[٣٣]، فيأخذ التشكيك منحى تكذيب الرسول او رميه بالجنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾[٣٤] او انه ﴿رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[٣٥]، وتأتي وسيلة الاستهزاء بالرسول كظاهرة اجتماعية جابهت رسالات الانبياء في رفض الدعوات الالهية ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٣٦].

إن التغيير هو فعل الانسان وارادته وهو سنة من السنن الالهية وان الاقرار بهذه السنة وفق الارادة الالهية بارتباط ارادة الله بإرادة الانسان هو المنهج القرآني المنوط بالإنسان في تحققه فهو يدور في ساحته وانه محوره وسنة التغيير هي تكليف شرعي حسب النص النبوي المار الذكر « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون ان يغيروا فلا يغيرون الا اصابهم الله بعقاب » لان القدرة على التغيير تجعله واجبا وان التكاسل فيه يستوجب العقوبة، وان مهمة التغيير تعم كل البشر باختلاف اجناسهم ودينهم وزمانهم واليه يشير النص القرآني بصيغة القوم، وان سنة التغيير سنة جماعية لا فردية فالتغيير عمل جماعي فان هناك حسب مفهوم الآية عمليتين تغييريتين فهناك تغيير الهي وهناك تغيير انساني الذي مجاله النفس وهو يسبق التغيير الالهي كي يكافئ الله البشر على الوصول الى الغاية فإرادة الله تابعة لإرادة الانسان وان النفس البشرية هي ميدان التغيير باستحضار المشاكل التي تعيق الوصول الى الهدف والتغلب عليها[٣٧]، الا ان بين هذين التغيرين قوة ارتباط فاذا وقع التغيير الذي يخلقه الله دل ذلك قطعا على ان التغيير الذي يقوم به القوم قد سبق ان حدث لأنه تعالى اشترط هذه الاسبقية كما اذا تحقق الذي يقوم به القوم، فان التغيير الذي يخلقه الله مبني على اساس

وعد الله وان الله لا يخلف الميعاد، وان هذا التغيير مجاله المجتمع لا الفرد وفي هذه الدنيا لا الاخرة كما لا يلزم ان يحدث ذلك في الامور الخاصة مثل السلوك الفردي وعلى كل فرد، وهذه السنة في هذه الآية سنة اجتماعية لا سنة فردية(٣٨).

ومن هنا نلاحظ ان للقران الكريم منظومة متكاملة وشاملة لأحداث التغيير في النفس الانسانية تبدا بتغيير المعارف والافكار وتتدرج لتغيير الاعتقاد والتصورات ثم تعمل على توجيه السلوكيات والتصرفات حتى يكون الفرد المتغير في اعلى درجات الكمال الانساني(٣٩).

ان عدم العبثية في الحياة ذات دور في عملية التغيير حيث ان اليقين بوجود كل شيء لحكمة ما يستلزم التوجه الى ما يحقق الغاية كما اراد الله، والتوجيه في غايته هو توجيه ما استخلف الانسان فيه توجيها يناسب الغاية التي من اجلها خلق الله الخلق، فالإيمان بالله يعني توحيده والعمل الصالح هو توجيه الافعال الانسانية وفق الارادة الالهية، وهذا هو دور الانسان ان يغير نفسه الى ان يصل الى افضل درجات التطبيق لمراد الله وعندئذ يتحقق وعد الله لمن حقق الايمان والعمل الصالح بان يستخلفه في الارض وليمكن له دينه الذي ارتضاه له ويبدله من بعد خوفه امنا(٤٠)، فقد اكد القران منذ نزوله الى منزلة الفرد والمجتمع لان الفرد لا يكون له دور ولا تحصل له قيمة الا بقدر اسهامه في التغيير الاجتماعي وبذلك بعث الله الرسل ولم يأمرهم فقط ان يكونوا صالحين ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(٤١)، بل كلفهم بمهمة عظمى وهي اصلاح المجتمع، فالقران يركز على تغيير معتقدات الفرد وتصوراته وعاداته وسلوكياته ليكون له اثر في التغيير الاجتماعي(٤٢).

إن التغيير الذي يعنيه القرآن هو تغيير سلوك الإنسان نفسيا وروحيا وصولا إلى كمال ذاته ولا يحصل ذلك إلا بادراك الإنسان كنه فلسفة الموت والحياة والخلق والحياة بعد الموت، وهذا التغيير المعني في القرآن لا يحصل إلا بإحدى طريقتين:

أولهما التغيير الجذري: وهو تغيير يطال المجتمع من أسسه وأصوله وقواعده وهو ما يسمى بالثورات.

ان التغيير الثوري الذي يعرضه القران الكريم هو تغيير جذري يقوم على اساس التحول من الظلمات الى النور فالمجتمع الانساني بعد انحدار اوضاعه الروحية والعقدية

والاجتماعية الى حالات الكفر بالله تأتي الرسالة والرسول وعملية الاخراج من الظلمات الى النور التي تهدف في الاساس الى التغيير الروحي والمادي فالروح تفرض سلطتها على الذات من خلال المبادئ السامية والفضيلة المتجذرة في ماهية الانسان ويكون منتهاه البعد المادي بجميع تجلياته.

فالتغير في القران الكريم يرتبط بمفهوم الثورة الى حد كبير وان التغيير اذا لم يكن ثورة كان مجرد احلام يقظة لا تنفك ان ترتبط بقبول الواقع المرير مما يجعل الانسان مجرد كائن سلبي(٤٣).

يأتي التغيير الجذري من داخل المجتمع ذاته لان في المجتمع لابد من وجود بؤر استضعافية يستغلها الاخرون تكبر مع شدة الاستضعاف وقوته وامعانا في الاضرار بهم وتأتي ردة الفعل من قبل المستضعفين للانتقام من ظالميهم واسترجاع حقوقهم المصادرة وكل ذلك يتم من خلال عدة مراحل تبدا من مرحلة الاستضعاف ثم تتوسع حتى تأخذ تغييرا نوعيا اجتماعيا من خلال تركز الاستغلال فتاتي ردة الفعل بالتحرك من قبل المستضعفين للخروج من حالة الاستضعاف عن طريق قيادة تقود هذا التحرك لنيل المطالب(٤٤).

من كل ذلك نخلص بان تطبيق العملية التغييرية الجذرية التي نزل القران من اجلها لابد وان يكون على وفق خطة مدروسة ونتيجة وجود منهج متبع يسار عليه، ولم يغفل القران هذه الناحية فقد تضمنت آياته جملة من المفاهيم القرآنية والاساليب التي ترسم الطريق والمنهج للإنسان وتصديه الى وسائل النجاة في الدنيا والاخرة وقد اشار القران الى النهج بقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٤٥)؛ لان الهداية تعني الدلالة على الطريق، وقد لخص القران هذا المنهج بكلمتين هما الكتاب والحكمة.

ثانيهما التغيير الاصلاحي: وهو تغيير بعض المعالم الجانبية دون الوصول إلى الأسس، فالقران الكريم يركز على تغيير معتقدات الفرد وتصوراته وعاداته وسلوكياته ليكون له اثر في التغيير الاجتماعي، ان القران الكريم يعتبر ان الاساس في تغيير المجتمع هو تغيير قيم الافراد ودوافعهم المعنوية والروحية، فالإيمان والتقوى وتزكية النفس والاستقامة على طريق الله.

بيد ان كلا التغييرين الثوري والاصلاحي يقومان عادة بتغيير الفكر الذي يتم معه تغيير

السلوك وتقاس به أحوال الأمم والأقوام بين الضعف والقوة والسقوط والنهوض... وفي ضوء هذه السنة القرآنية التي قوامها الالتزام بمنهج الله أو البعد عنه تتغير مصائر الأمم بين الازدهار والانكسار(٤٦).

ان كل تغيير له منطلق ينطلق منه كمرجعية تؤطره وغالبا ما يرتبط التغيير بجانب مادي او روحي، بيد ان التغيير وفق الرؤية القرآنية ينطلق من بعدين، الاول: هو الروح التي تفرض سلطتها على الذات من خلال المبادئ السامية والفضيلة المتجذرة في ماهية الانسان، والثاني البعد المادي بجميع تجلياته(٤٧).

ان الثورة ظاهرة متميزة عن غيرها من اشكال التغيير الرافض للواقع المعاش فهي ليست حالة غضب بل اكثر بكثير فهي تحمل فلسفة ورؤية هادفة للوجود.

ووفقا لهذا القانون الاجتماعي فقد انتهج الرسول اسلوبا للتغيير اعتمد على تغيير ما في النفوس اولا وقد تمثل ذلك في سيرته طوال المرحلة المكية للدعوة اذ كان يمثل قيم الاسلام في نفسه وفي نفوس القلة المؤمنة معه فكان يمثل حينها قيم السماح والعدل والرفق واللين وعندما استطاع تجذير القيم الإسلامية الرفيعة في نفوس اصحابه راح يمثل امر ابعد في التصدي للظلمة والطغاة من مشركي قريش ويهيئ الامر لإقالة دولة الاسلام(٤٨).

المطلب الثاني: آفاق التغيير.

يمكن ادراج اهم النقاط التي يتحرك بها افق التغيير في الحياة الاجتماعية بما يأتي:

١- التغيير سنة كونية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢- حركة المجتمع وفق رعاية المعصوم هو غاية الوجود الإنساني في هذه البسيطة، وغاية حكم الله في الأرض في الوراثة الطبيعية لها وهو امتنان من الله عز وجل للبشرية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وصولا إلى تغيير اجتماعي مسيطر عليه وتحت رعاية المعصوم نحو الكمال فالتغيير يسير على وفق منهج إسلامي إنساني إذ ((تبدو فكرة المجتمع الإنساني العالمي الموحد الموصوف بالكمال لدى مفكري الشيعة قريبة إلى حد كبير من أفكار بعض المفكرين السنة الذين ظهروا في العصر الحديث مما يعني أن هذا العصر قد شهد تقاربا في الرؤية حول قضية التغيير الاجتماعي)).

٣- التغيير ثابت وحاصل لا محالة فهو ليس أمرا عرضيا أو طارئا أو استثنائيا في تاريخ المجتمعات البشرية منذ إيجاد الخلق وحتى يرث الله الأرض ومن عليها انه قانون الهي حتمي يحكم الحياة البشرية قانون رباني واعد بالتغيير ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

٤- المدلول القرآني لمفهوم التغيير مدلول سلبي ﴿ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فتغير النعمة إبدالها بضدها وهو النقمة وسوء الحال أي تبديل حال حسنة بحال سيئة... والمراد بهذا التغيير تغيير سببه وهو الشكر بأنه يبدله بالكفران ، وقد يكون التغيير ايجابيا فقد يكون من الأسوأ إلى الأحسن ، إذا أراد الله عز وجل من عبده الاستعداد لفعل الخير وترك الشر، و التغيير السلبي حسب المفهوم القرآني يتم عبر ثلاثة تحولات أولها: تعدي حدود الله بالعصيان بعد عقد الميثاق بين الله والعبد ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وثانيها: تحول اجتماعي سلبي يتمثل في فساد الأخلاق والسلوك والأنظمة والقوانين التي وضعها الله لعباده وكل أمر حثت عليه الشريعة ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، وثالثها: هو الفساد الاجتماعي بكل أشكاله وصوره ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، هذه التحولات التي تحدث تدريجيا في فترات متلاحقة تكون تحت مراقبته سبحانه حتى تصل إلى مرحلة العقاب منه ﴿لنذيقهم بعض الذي عملوا﴾، ويعتبر جزاؤهم العادل .

٥- يوجد تلازم حسب المفهوم القرآني بين تغيير القوم لأنفسهم وتغيير الله هذا التلازم يتقرر بان الحدوث لأحدهما حدوث للآخر كنتيجة حتمية لان الله هو خلق هذه النتائج من تلك الأعمال وان حدوث هذه النتائج بشكل فوري هي من سنن الطبيعة التي أودعها الله في الكون المادي ، فالإنسان هو الذي يفعل الأسباب بتمكين من الله.

٦- التغيير حسب المفهوم القرآني مجاله (القوم) أي الجماعة أو المجتمع لا الفرد... كما انه لا يلزم أن يحدث التغيير للفرد الواحد إذا غير ما بنفسه وان كان يمكن أن يحدث ذلك في بعض الأمور الخاصة مثل السلوك الفردي وعلى أي حال فان هذا الوعد أو هذه السنة الإلهية سنة اجتماعية لا سنة فردية ، بينما التجديد قد يقوم به فرد واحد أو عدة أفراد قد تنجح في تغيير المجتمع أو قد تفشل.

٧- التغيير هو تعديل أوضاع الناس وسلوكهم حسب ما يقر به الشرع ويقتضيه المنهج الإسلامي من المنهج الإلهي ، وكذلك التغيير الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية يسير وفق قوانين أو سنن أشار إليها القرآن الكريم وذكر حكمها ودعا إلى استنباطها والاعتبار بها، و هناك أحكام ثابتة في الشريعة الإسلامية متفق على ثبوتها لا تنالها يد التغيير.

الخاتمة:

اهم النتائج:

١. التغيير هو تعديل اوضاع الناس وسلوكهم حسب ما يقربه الشرع ويقتضيه المنهج الاسلامي المستمد من المنهج الالهي على وفق قوانين اشار اليها القران الكريم.

٢. غاية الوجود الانساني هو غاية الاستخلاف في الارض منوطة بحكومة المعصوم وصولا الى تغيير اجتماعي مسيطر عليه وتحت رعايته امتنانا من الله ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض فنجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ﴾.

٣. التلازم بين تغيير الله وتغيير القوم لأنفسهم تلازما فوريا فالحدوث لاحدهما حدوثا للآخر.

٤. التغيير المعني في القران هو تغيير سلوك الانسان نفسيا وروحيا وصولا الى تمكين الدين المرتضى واستبدال الخوف بالأمن.

هوامش البحث

(١). الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القران، تحقيق صفوان عدنان، (بيروت: دار القلم)، مادة (غير).
(٢). ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، مادة (غير).
(٣). ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: المعدية،١٩٦٣م)، مادة (غير).
(٤). علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: مكتبة النعمان، ١٩٨٥م)، مادة (غير).
(٥). محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، غرائب القران هامش جامع البيان للطبري، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٤م)، ج١، ص١٧٨.
(٦). محمد الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية)، ج١، ص٤٥.
(٧). عبد الباسط محمد، اصول البحث الاجتماعي، (القاهرة: مكتبة وهب، ١٩٩٨م)، ص١٠.
(٨). موقع وزارة الاوقاف، المقدمة، مفاهيم اسلامية، ج١، ص٩٥.

(٩). جمعة امين، التقرير الاجتماعي (بحث)، walabascr.com.
(١٠). حنان محمد عبد الحميد، التغيير الاجتماعي في الفكر الاسلامي، (امريكا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي،٢٠١١م)، ص٣٦.
(١١). سورة الانفال، اية ٥٣.
(١٢). سورة الرعد، اية ١٠.
(١٣). سورة الرعد، اية ١١.
(١٤). في ظلال القرآن ، ط٦، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٧١)، ص١٧٦.
(١٥). الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (لبنان: المعرفة، ٢٠١٤م)، ج١٣، ص١٨٧.
(١٦). سورة محمد، اية ٤٧.
(١٧). محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج٢٦ ص ٩٦.
(١٨). سورة النساء، اية ١١٩.
(١٩). محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط٣، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م)، ج٥، ص١٨٣.
(٢٠). محمد بن النعمان المعروف بالمفيد، الاختصاص، تحقيق علي البرغفاري، (لبنان: دار المفيد، ١٩٩٣م)، ص٨٩.
(٢١). الكافي، الكليني، (ايران: مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٩م)، ج٨، ص١٣٢.
(٢٢). محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، (لبنان: دار احياء الكتب، ٢٠٠٠م)، ج١١، ص٢٠٤.
(٢٣). سنن ابي داود تحقيق محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٠م)، ج٢، ص٣٢٣.
(٢٤). المصدر نفسه، ح٤٣٣٨.
(٢٥). محمد بن بابويه المعروف بالصدوق، عيون اخبار الرضا، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٤م)، ج٢، ص١٥٢.
(٢٦). احمد بن شعيب النسائي، سنن النيسابوري، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٩٩١م)، ج٤، ص١١٢.
(٢٧). محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، (ايران: سكاره، ١٤١١هـ)، ج٤٤، ص٣٨٤.
(٢٨). الامام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج٣، ص٥٦.
(٢٩). احمد بن شعيب النسائي، مصدر سابق، ج٥، ص٢٦.
(٣٠). علي بن جعفر، مسائل علي بن جعفر، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، (قم: مؤسسة ال البيت
(٣١). القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق اصف بن علي، ط٢، (مصر: دار التعارف، د.ت)، ج٢، ص١٣٨.
(٣٢). المصدر نفسه.
(٣٣). يس:١٥.
(٣٤). المؤمنون ٢٥
(٣٥). المؤمنون ٣٨.
(٣٦). يس: ٣.

(٣٧). تامر حدادوش، سنة التغيير ww.echoroukomline.
(٣٨). جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، (القاهرة: مكتبة الاسراء، ١٩٩٨م)، ص٦٧.
(٣٩). تهاني عفيف، منهج القران الكريم في التغيير الفردي، رسالة ماجستير، (الاردن: كلية الدراسات العليا،٢٠١١م)، ص٢٣٩.
(٤٠). المصدر نفسه، ص٨٨.
(٤١). هود: ١١٢.
(٤٢). مصطفى اليربوعي، التغيير الفردي في المجتمع في القران الكريم انطلاقا من قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم، (المغرب: مركز دراسات شذور)، www.arrabita.com .
(٤٣). عبد القادر عرفة، فلسفة التغيير في القران www.aljazeera n.t
(٤٤). محمد باقر الحكيم، المجتمع الانساني في القران، ط٢، (مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ٢٠٠٦)، ص٢٣٢-٢٣٤.
(٤٥). سورة الحمد، اية ٥.
(٤٦). عبد الله العوافي، التغيير في خطاب القران، اشيكة الالوكة www.alalukah.
(٤٧). بو عرفة عبد القادر www.aljazeera.
(٤٨). يوسف ابا الخيل، قانون التغيير الاجتماعي من منظور القران، الرياض (جريدة السعودية)، السبت ٧ ذي الحجة،١٤٢٧هـ.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القران الكريم.

١. ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: المعدية،١٩٦٣م).
٢. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م).
٣. احمد بن شعيب النسائي، سنن النيسابوري، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٩٩١م).
٤. الامام علي، نهج البلاغة، (لبنان: الاضواء، ١٩٩٠م).
٥. تامر حدادوش، سنة التغيير ww.echoroukomline.
٦. تهاني عفيف، منهج القران الكريم في التغيير الفردي، رسالة ماجستير، (الاردن: كلية الدراسات العليا،٢٠١١م).
٧. جمعة امين، التقرير الاجتماعي (بحث)، walabascr.com.
٨. جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، (القاهرة: مكتبة الاسراء، ١٩٩٨م).
٩. حنان محمد عبد الحميد، التغيير الاجتماعي في الفكر الاسلامي، (امريكا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي،٢٠١١م)

١٠. الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القران، تحقيق صفوان عدنان، (بيروت: دار القلم).
١١. سليمان بن الاشعث، سنن ابي داود تحقيق محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٠م).
١٢. سيد قطب، في ظلال القرآن ، ط٦، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٧١).
١٣. عبد الباسط محمد، اصول البحث الاجتماعي، (القاهرة: مكتبة وهب، ١٩٩٨م).
١٤. عبد القادر عرفة، فلسفة التغيير في القران www.aljazeera.net
١٥. عبد الله العواضي، التغيير في خطاب القران
١٦. علي بن جعفر، مسائل علي بن جعفر، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام، (قم: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ١٤٠٩هـ).
١٧. علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٥م).
١٨. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (لبنان: المعرفة، ٢٠١٤م).
١٩. محمد الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية).
٢٠. محمد باقر الحكيم، المجتمع الانساني في القران، ط٢، (مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ٢٠٠٦م).
٢١. محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، (ايران: سكاره، ١٤١١هـ).
٢٢. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط٣، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م).
٢٣. محمد بن عبد المعروف بالحاكم النيسابوري، غرائب القران هامش جامع البيان للطبري، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٤م).
٢٤. محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، عيون اخبار الرضا، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٤م).
٢٥. محمد بن نعمان المعروف بالمفيد، الاختصاص، تحقيق علي البرغفاري، (لبنان: دار المفيد، ١٩٩٣م).
٢٦. محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي.
٢٧. مصطفى اليربوعي، التغيير الفردي في المجتمع في القران الكريم انطلاقا من قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، (المغرب: مركز دراسات شذور)، www.arrabita.com .
٢٨. موقع وزارة الاوقاف، المقدمة، مفاهيم اسلامية.
٢٩. يوسف ابا الخيل، قانون التغيير الاجتماعي من منظور القران، الرياض (جريدة السعودية)، السبت ٧ ذي الحجة،١٤٢٧هـ.